

تَحذِيرُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَالْإِيمَانِ مِنْ مَكْرٍ ، وَخِدَاعِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ، وَالنِّفَاقِ .

رَدُّ عِلْمِيٍّ عَلَى كِتَابٍ يَحْتَفِي بِهِ الْمُتَبَدِّعَةُ عِنْدَنَا - فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - يُرْوَجُونَ لَهُ ؛ لِيُخَادِعُوا بِهِ الْأَعْمَارَ ، وَأَتْبَاعَهُمْ مِنَ الْجَهْلَةِ الرَّعَاعِ .

[الجزء السابع - الأخير]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُرْسَلِينَ ... أَمَّا بَعْدُ :

(مُقَدِّمَةٌ)

في هذه الحلقة -وهي السابعة ، والأخيرة- في الرد على كتاب ابن قديش الياضي اليميني :
"مَسَائِلُ فِي الْمَنْهَجِيَّةِ الْعَامَّةِ ؛ فِي الْعَقِيدَةِ ، وَالْفِقْهِ ، وَالسُّلُوكِ ، وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ ،
وَالْمَاتَرِيدِيَّةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ... " ، فنقول ، وبالله التوفيق ،

(٧)

مُلْحَقَاتُ مُهِمَّةٌ ، ثُمَّ الْخَاتِمَةُ .

وَمِنَ الْمُلْحَقَاتِ هَذِهِ الْمُلْحَصَاتُ الْجَامِعَاتُ :

[١] مؤلف الكتاب : "ابن قديش الياضي" من المناظرين ، والمنظرين لطائفته الأشعرية ، الصوفية ،
حاله كحال الكوثري من قبل ، ومن المعاصرين : الجفري اليميني ، وسعيد فودة ، وعبد القادر
الحسين الشاميان ، والعيوني المكي ، والعرنج الأحسائي ، وغيرهم ، وفي غالب من الظن أنه ما
كتب الذي كتب إلا ليبين لأتباعه الأدلة التي تساعدهم لمناظرة أهل السنة .

[٢] ومن مكر ، وخداع ، ونفاق مؤلف الكتاب :

- أَنَّهُ أَظْهَرَ لِلْقُرَاءِ أَنَّهُ يَخَاطَبُ فِي كِتَابِهِ هَذَا - مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ يَخَاطَبُ - أَهْلَ السَّنَةِ السَّلْفِيِّينَ ،
وَالَّذِي يَقْرَأُ ، وَيَتَأَمَّلُ مَا فِيهِ أَدْنَى تَأَمُّلٍ يَجِدُ أَنَّ الْكِتَابَ - بِرَمْتِهِ - مَوْجَهٌ إِلَى مَنْ يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ
الْأَشَاعِرَةِ - مَفْضُوزَةً ، وَمَوْوَلَةً - وَإِخْوَانَهُمُ الْمَاتَرِيدِيَّةَ ، وَالَّذِي يَسْمِيهِمْ - مَخَادَعَةً ، وَمَرَاوِغَةً - بِأَهْلِ
السَّنَةِ ، أَمَا أَهْلَ السَّنَةِ بِاصْطِلَاحِنَا - نَحْنُ - فَهَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْمَجْسَمَةِ الْمَشْبُهَةِ .

- وَأَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِذَوَاتِ الصَّالِحِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَمْرٌ مُخْتَلَفٌ فِيهِ أَدْخَلَ فِيهِ مِثَالًا ؛ وَهُوَ
الطَّلَبُ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَسُؤَالُهُمُ الشِّفَاعَةَ ، وَالَّذِي يَعْتَبِرُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ كَفَرًا مُخْرَجًا مِنَ الْمِلَّةِ .

- وَأَنَّهُ إِنْ أَتَى بِأَقْوَالِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِالْمِثْشَابَةِ مِنْهَا ، أَمَا الصَّرِيحُ - الْوَارِدُ عَنْهُمْ - فَإِنَّهُ
يَغْفِلُهُ كُلَّ الْإِغْفَالِ .

- وَأَنَّهُ يَنْتَقِي مِمَّا يُورَد - من أدلة ، أو أقول- ما يوافق مذهبه ، وهواه ، ولو كان ضعيفًا ، أما ما يخالفها فإنه يعرض عنه إعراضًا كاملاً ، ولو كان صحيحًا .

- وَأَنَّهُ يَتَلَاعَبُ بِالْأَلْفَاظِ ، وَالْمَصْطَلِحَاتِ ؛ فَيَجْعَلُ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَفْوِيضَ صِفَاتِهِ ، أَوْ تَأْوِيلَهَا ، وَيَجْعَلُ دَعَاءَ الْأَمْوَاتِ تَوْسَلًا مَشْرُوعًا ، وَيَجْعَلُ مَثْبُتَةَ الصِّفَاتِ الْإِثْبَاتِ السَّلْفِيِّ مَجْسَمَةً مَشْبَهَةً ، وَالْمَتَصَوِّفَةَ الطَّرِيقِيِّينَ هُمَ أَهْلَ الْوَلَايَةِ ، وَالتَّحْقِيقِ ، وَيَجْعَلُ مِنْ كِرَامَاتِ الصُّوفِيَّةِ مَا هُوَ خَاصٌ بِرَبِّ الْبَرِيَّةِ .

- وَأَنَّهُ يَظْهَرُ فِي الْكِتَابِ الْهُدُوءُ فِي الطَّرْحِ ، وَالنَّصْحُ لِلخَلْقِ ، وَالاعتدال ، وَبِئْسَ الْغُلُوبُ الْمَفْرُطُ ، وَهَذَا - وَاللَّهُ - مِنْ حِيلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لِتَفْنِيْقِ أَبَاطِيلِهِمْ ، وَأَيُّ اعْتِدَالٍ وَهُوَ مِمَّنْ يَجِيزُ الْاسْتِغَاثَةَ ، وَطَلَبَ الشِّفَاعَةَ مِنَ الْأَمْوَاتِ .

[٣] يكثر في الكتاب النقول عن الرجال ، أما الأدلة فهي قليلة جداً ؛ وما أرى سبباً لهذا إلا أن المتصوفة يقدسون الرجال ، ويعظمونهم أكثر من تعظيمهم النصوص .

[٤] يبتز النصوص ، والنقول إن استلزم عنده الأمر .

وَبِاخْتِصَارِ الْمَوْلُوفِ قَدْ قَامَ -بِجِدَارَةٍ- بِوُضُفَةِ أَهْلِ التَّحْرِيفِ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ "مَا خَذَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ فِي الْاسْتِدْلَالِ ، الَّتِي تَقْلِبُ الشَّرِيعَةَ ، وَتَغْيِرُ صَفْحَتَهَا ، مِنْ شَرَعٍ مَنْزِلَ إِلَى شَرَعٍ مَبْدَلٍ ، وَدِينٍ مَحْرَفٍ ، وَجَمَاعَهَا : اتِّبَاعِ الْهَوَى ، وَالْحُكْمِ بِالْمِثْشَابَةِ ، وَحُجِيَةِ الْكُشْفِ ، وَالْإِلْهَامِ ، وَالرُّؤْيَا ، وَفِتْيَا الْقَلْبِ (حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي) ، وَالطَّعْنِ فِي خَبْرِ الْآحَادِ ، وَدَعْوَى مَخَالِفَةِ النَّصِّ لِلْمَعْقُولِ ، وَتَحْكِيمِ الْعَوَائِدِ ، وَزُخْرَفَةِ الْبَاطِلِ ، وَالْاسْتِدْلَالِ الْمَقْلُوبِ بِالْاسْتِحْسَانِ ، وَبِالْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ عَلَى الْأَهْوَاءِ ، وَبِتَرْكِ النُّقُولِ وَالنُّصُوصِ ، وَالْدَسِّ فِي كَلَامِ أَهْلِ السَّنَةِ ، بَلْ فِي السَّنَةِ ، وَالتَّحْرِيفِ فِيهَا «التَّأْوِيلِ بِالْبَاطِلِ» ، وَفَاسِدِ الْقِيَاسِ ، وَمَعَارِضَةِ النَّصِّ بِالرَّأْيِ ، وَبِدْعَةِ التَّعْصَبِ ، وَتَقْدِيسِ الْأَشْيَاخِ ، وَتَعْظِيمِ خَطَرِ مَخَالَفَتِهِمْ بِمَا يَخْرُجُ عَنْ حُدُودِ الشَّرَعِ ، وَتَحْكِيمِ ظَوَاهِرِ النَّصُوصِ مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى مَقَاصِدِهَا ، وَالْاِحْتِجَاجِ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَتَقْيِيدِ الْمَطْلُوقِ بِالتَّشْهِي ، وَعَكْسِهِ ، وَالتَّهْوِيلِ بِدَعْوَى الْإِجْمَاعِ ، وَالْاِحْتِجَاجِ بِمَقَامَاتِ الشُّيُوخِ ، وَالتَّغَالِي فِيهِمْ ، وَاسْتِغْلَالِ الْغُلَطِ فِي تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَسَيِّئَةٍ ، ...»^(١) .

(١) تحريف النصوص ؛ للشيخ بكر أبو زيد ، ص : (١٠٠) .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : " والتحريف العدول بالكلام عن وجهه ، وصوابه إلى غيره ؛ وهو نوعان : تحريف لفظه ، وتحريف معناه ، والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود ؛ فهم الراسخون فيهما ، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم ؛ فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة ، وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه ، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم ، ودرج على آثارهم الرافضة ؛ فهم أشبه بهم من القذة بالقذة ، والجهمية ؛ فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود ، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه ، وسطوا عليها ، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين ؛ فإنه جاء فوجد باباً مفتوحاً ، وطريقاً مسلوكة ، ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب ، أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها ، وإن كان الملحد قد وسع باباً هم فتحوه ، وطريقاً هم اشتقوه ، ... ، وتأويل التحريف هو الباطل ؛ فتأويل التحريف من جنس الإلحاد ؛ فإنه هو الميل بالنصوص عن ما هي عليه ؛ إما بالظن فيها ، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها ، وكذلك الإلحاد في أسماء الله تارة يكون بجحد معانيها حقائقها ، وتارة يكون بإنكار المسمى بها ، وتارة يكون بالتشريك بينه ، وبين غيره فيها ؛ فالتأويل الباطل هو إلحاد ، وتحريف ، وإن سماه أصحابه تحقيقاً ، وعرفاناً ، وتأويلاً" (١) ،

وَقَالَ الشَّيْخُ بَكْرٌ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : "وأما المنافقون فهم أول من قدح شرارة التبديل في الأمة ، وفيهم أنزل الله قرآناً ، فقال سبحانه : { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ... } [الفتح: ١٥] ، ...

وما من فرقة من الفرق المخالفة ؛ المنتسبة إلى الإسلام ؛ كالرافضة ، والجهمية ، والقدرية ، والجبرية ، والمعتزلة ، والأشاعرة .. إلا وقد ضربت بسهم وافر من التحريف ، ويقال : تأويل التحريف ؛ لصياغة ما ينتمون إليه من مذاهب بما يشبه الحق ، وهو باطل محض ... ، وعلى أعقاب هؤلاء حلت قارعة التحريف في كل من غلا في المذاهب ، وجفا النصوص ... وهذه فعلة شنعاء ، وجريمة كبرى أفرزتها البدعة الضالة : «بدعة التعصب المذهبي» ... (٢) .

(١) الصواعق المرسله (١/٢١٥-٢١٧) .

(٢) تحريف النصوص ، ص (١٤٠-١٤١) .

وَمِنَ الْمُلْحَقَاتِ -أَيْضًا- هَذِهِ الْوَصَايَا الْمُدْكِرَاتُ ، الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

[١] احذروا -يا أهل السنة- ثم احذروا من مكر أعدائنا أهل البدعة ؛ فإن أمضى أسلحتهم الآنية هي إظهار المسكنة ، والتمسكن ، وإظهار حب التعايش ، والتقرب ؛ وهذا فخ منصوب لكم من قبلهم ؛ فإن قبلتم أقوالهم ، وصححتهم مقاصدهم فقد وقعتم في فخهم ، والدواء الناجع لمكرهم هو عزلهم عن محيط أهل السنة البتة ، وهجرهم الهجران التام ، وعدم قبول أي شيء يأتي من قبلهم .

[٢] ثم اعلموا أن حجج أهل الباطل ضعيفة مهلهلة ، فلا تغرنكم كتبهم ، ولا كتاباتهم ، فليست بشيء ؛ وإن اضطررتم لمناظرتهم فتعلموا كيف تناظروهم ، وإن من أمضى الأسلحة التي تأتي على حججهم جملة ، وتتهاوى كلها من ضربة واحدة -فترجوا ، وتستريحوا- هي :

- استخدام الأدلة ، الصريحة ، المحكمة ،

- والاستشهاد بأقوال علماء السلف المتقدمين ؛ الواضحة وضوح الشمس ،

فَإِذَا أَرَدْتُمْ -مثلاً- أن تردوا على المفوضة منهم -أو المؤولة- فانتقلوا سريعاً إلى الكلام عن :
صفة علو الله ، وكلامه جل وعلا ، واحشدوا لهم الأدلة ، والنقول الصريحة من كلام العلماء من سلف الأمة ، فباذن الله ستكون عليهم حجة قاصمة ، قاطعة لحجج المنازعين من أهل الابتداع بئته ، "ولا غيظ أغيظ على الكفار ، والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادقة ، وقد تهزم العساكر الكبار ، والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً ؛ فهي أدعى إلى الحق ، وأنصر للدين من السلاح الشاكي ، والأعداد الجممة ، ... ، قال تعالى : { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنعام: ١٤٩] ، وقال تعالى : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [الأنبياء: ١٨] " (١) .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد ، والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وُفِّيَ بموجب العلم ، والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور ، وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم ، واليقين" (٢) .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ؛ لابن حزم (٢٥/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٤/٢٠-١٦٥) .

وختامًا :

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا مَا كَتَبْنَا مِنْ دِفَاعٍ عَنِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَالْإِيمَانِ ، مِنْ مَكْرٍ ، وَخِدَاعِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ، وَالنِّفَاقِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِ رَبِّنَا الْكَرِيمِ الْمُتَعَالِ ، كَمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَحْمِي أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شُرُورِ أَهْلِ التَّحْرِيفِ ، وَالْإِلْحَادِ ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ حَتَّى الْمَمَاتِ ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ ، بَرٌّ ، جَوَادٌ .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَآلِهِ ، وَصَحْبِهِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِالْبِرِّ ، وَالْإِحْسَانِ .